الرسالة

(عبرانيين ١٣: ١٧–٢١)

يا إخوةُ أَطيعوا مدبِّريكم واخضَعوا لهم فإنَّهم يسهرون على نفوسِكم سَهرَ مَن سيُعطي حِساباً حتى يفعلوا ذلك بسرورٍ لا آنين. لأنَّ هذا غيُر نافعٍ لكم* صلُّوا من أجلِنا فإنَّا نثِقُ بأنَّ لنا ضميراً صالحاً فنرغبُ في أن نُحسِنَ التصرُّف في كلِّ شيءٍ* وأطلُبُ ذلك بأشدِّ إلحاحٍ حتى أُرَدَّ إليكم في أسرعِ وقتٍ* وإلهُ السلامِ الذي أعادَ من بينِ الأمواتِ راعيَ الخرافِ العظيمَ بدم العهدِ الأبديِّ ربَّنا يسوعَ* يكمِّلُكم في كلِّ عملٍ صالحٍ حتى تعملوا بمشيئته عامِلاً فيكم ما هو مَرضِيٌّ لديه بيسوعَ المسيحِ الذي له المجدُ إلى أبدِ الآبدين، آمين.

الإنجيل

(لوقا ٨: ٤١–٥٦)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ إنسانٌ اسمُه يايِرُسُ وهو رئيسٌ للمجمع وخرَّ

حول الإنجيل

في كلّ أحد تذكّرنا الكنيسة المقدّسة، من خلال القراءات الكتابيّة، بتعاليم الربّ يسوع التي علينا أن نضعها نصب أعيننا ونسير وفقها. وفي هذا الأحد تتلو الكنيسة على مسامعنا مقطعًا من إنجيل لوقا يذكر فيه حادثتَين مترابطتين وهما حادثة شفاء الربّ يسوع المرأة النازفة الدم وحادثة إقامة ابن رئيس المجمع اليهودي يايروس (لو ٨: ٤١–٥٦)، وبهذا تلقي الكنيسة الضوء مرارًا وتكرارًا على أنّ الربّ يتخطّى كلّ العوائق البشريّة ليصل إلى خليقته، كما أنّه أتى لكلّ البشر ولم يخصّص نفسه لفئة واحدة.

في الحادثتين المذكورتين في هذا المقطع الإنجيلي يشدّد الإنجيلي على الإيمان بالربّ يسوع من خلال موضوع مشترك هو النجاسة. فوفق الشريعة تُعتبر المرأة النازفة الدم نجسة وكلّ من يلمسها يتنجّس (لاو١٥: ١٩–٣٢)، كما يُعتبر نجساً كلّ من يمسّ ميتًا (عدد ١٩: ١١–٢٢). لقد كانت المرأة النازفة الدم ورئيس المجمع في حالة يأس. فالمرأة جرّبت جميع الوسائل البشريّة المتاحة لتُشفى، فأنفقت كلّ ما لها على الأطباء من دون أن تصل إلى مرادها، ورئيس المجمع وصل إلى حائط مسدود لأنّ ابنته مشرفة على الموت وهو مقيّد اليدين لا يستطيع أن يفعل لها شيئًا.

في حالة اليأس هذه تجرّأت المرأة على الاقتراب من الربّ يسوع الذي كان محاطًا بجموع كثيرة تزحمه، معرّضةً من يلمسها، عن غير معرفة، لأن يتنجّس. والدافع الأساسي كان إيمانها بأنّ الربّ يسوع قادر على شفاء المرضى، وهو قادر أيضًا على شفائها. لكنّها كانت خائفة من عرض نفسها أمام الجموع بسبب وضعها، لذلك أتت من ورائه خلسة ومسّت هدب ثوبه، وللحال شُفيت. أمّا الربّ يسوع فأراد أن يُظهر إيمانها هذا للملأ، فأصّر على معرفة من لمسه، وهكذا «جاءت وخرّت له وأخبرت أمام كلّ الشعب لأيّة علّة لمسته وكيف برئت للوقت». فما كان من الربّ يسوع إلّا أن شدّدها مسمّيًا إيّاها ابنة، معيدًا لها مكانتها في المجتمع، لأنّها كانت معزولة عن العالم بسبب مرضها،

العدد ٢٠١٤/٤٥

الأحد ٩ تشرين الثاني

تذكار الشهيدين أُنيسيفورس وبورفيريوس وتذكار البارة مطرونة والبار نكتاريوس العجائبي

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر الحادي عشر

وأكّد لها أنّ إيمانها هو الذي شفاها.

أمّا رئيس المجمع، وفي حالة اليأس التي كان واقعًا فيها، فقد أتى إلى الربّ يسوع وخرّ عند قدمَيه، متخطّيًا مكانته في المجتمع، إذ إنّه رئيس مجمع والناس يأتون إليه طالبين المشورة. هو أيضًا سمع أنّ الربّ يسوع المسيح قادر على شفاء المرضى، وحاول أن يستقدم الرب بأسرع وقت قبل أن تفارق ابنته الحياة، لكي يشفيها. وهو في حالة السباق مع الزمن، حصلت حادثة شفاء المرأة النازفة الدم، ما أخّر الرب يسوع من الوصول في الوقت المناسب. فأتى الخبر بأنّ الابنة قد فارقت الحياة، ولم تعد هناك حاجة لقدوم يسوع. أمّا جواب الربّ فكان أنّ ما على الأب إلاّ الإيمان، أيّ الثقة بقدرة الله: «لا تخف. آمن فقط فتبرأ هي». وكأنّ الربّ قصد أن يتأخّر حتّى تموت الابنة لكي تظهر قدرته الإلهيّة أمام كلّ الشعب ويُظهر عظمة الإيمان. في هذه الحالة أيضًا تخطّى الربّ موضوع النجاسة ولمس الفتاة الميتة «فأمسك بيدها ونادى قائلاً يا صبيّة قومي، فرجعت روحها وقامت في الحال». واللافت أنّ الإنجيلي لوقا يستعمل الكلمة اليونانية (للوقت، في الحال) نفسها ليعبّر أنّ شفاء المرأة وإقامة الابنة من الموت حصلا فور لمس الرب، فيؤكّد بذلك على قدرة الله.

لا بدّ هنا من التذكير بحادثة أخرى يذكرها الإنجيلي لوقا وتشبه إقامة ابنة رئيس المجمع من الموت، هي حادثة شفاء عبد قائد المئة (لوقا ٧: ١-١٠). فمع أن القائد رومانيّ، أي وثني، إلّا أنّ الرب يسوع أراد المجيء إلى بيته ليشفي غلامه. أمّا ما أراد لوقا الإنجيلي أن يظهره فهو إيمان القائد الوثني بقدرة الله، من جهة، لأنّه اعتبر أنّ كلمة من الربّ يسوع تكفي ليبرأ الغلام (لوقا ٧: ٧)، ومن جهة أخرى أراد الإنجيلي أن يؤكّد على رحمة الرب التي تشمل كل الناس، وليس فقط من يُعتبرون شعبه، «فإنّه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين» (مت٥: ٤٥).

لا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ ما يدفعنا عادة إلى اللجوء إلى الله هو الحائط المسدود، أيّ إنّنا نلتفت إلى ربّنا عندما نفقد الأمل بمقدرتنا البشريّة. لكنّ الله يذكّرنا، من خلال تعاليمه، أنّه دائمًا إلى جانبنا، وأنّه هو مرجعنا الوحيد والنهائي. فهو خالقنا وهو من يعتني بنا، وإن ابتعدنا عنه إلاّ أنّه دائمًا في انتظارنا حتّى نعود إليه. بالإضافة إلى هاتين الحادثتين اللتين تُليتا على مسامعنا اليوم، الكتاب المقدّس مليء بحوادث وتعاليم مماثلة. نذكر في هذا المجال مَثَل الابن الشاطر الذي لم يعد إلى أبيه إلاّ بعد أن فقد الرجاء في الحياة، فأدرك أنّه لا يمكنه العيش بعيدًا عن الله مصدر حياته (لوقا١٥: ١١-٣٢). كما أنّنا نجد التعليم نفسه في كتاب هوشع النبي، الذي يصف شعب الله بامرأة تركت رجلها لتلحق بمحبّيها، لأنّها اعتقدت أنّهم مصدر حياتها، لكن الله، رجلها، قطع كل الطرق المؤدّية إلى محبّيها. وعندما فقدت الأمل عادت إلى الله الذي هو مصدر حياتها الوحيد (هوشع١: ١-٢٣).

من هنا علينا أن نعي أنّه وإن كنّا مسيحيّين فإنّنا معرّضون للابتعاد عن الله والاعتماد على أنفسنا أو

عند قَدَمَيْ يسوعَ وطلبَ إليهِ أن يدخُلَ إلى بيتِه* لأنَّ له ابنةً وحيدةً لها نحوُ إثنتَيْ عَشْرَةَ سنةً قد أشرَفَتْ على الموت. وبينما هو منطلِقٌ كان الجموعُ يزحمونهُ* وإنَّ امرأةً بها نَزْفُ دمٍ منذ إثنَتَيْ عَشْرَةَ سنةً وكانت قد أنْفَقَتْ معيشَتَها كلَّها على الأطِبَّاءِ ولم يستَطِع أحَدٌ أنْ يَشْفِيَها* دنَتْ من خَلْفِه ومسَّت هُدْبَ ثوبِه وللوقت وقف نَزْفُ دمِها* فقال يسوعُ مَن لَمَسني. وإذ أنكرَ جميعُهم قال بطرسُ والذين معه يا معلّمُ إنَّ الجموعَ يضايقونَك ويزحمونَك وتقول مَن لَمَسني* فقال يسوعُ إنَّه قد لمَسَني واحدٌ. لأنّي علِمْتُ أنَّ قوَّةً قد خَرَجَتْ منّي* فلمَّا رأتِ المرأةُ أنّها لم تَخْفَ جاءت مرتعِدةً وخرَّت له وأخبَرَتْ أمامَ كلّ الشعبِ لأيَّةِ علَّةٍ لمستهُ وكيف بَرِئَت للوقت* فقال لها ثِقي يا ابنةُ. إيمانُكِ أبرأكِ فاذهبي بسلامٍ* وفيما هو يتكلَّمُ جاءَ واحِدٌ من ذوي رئيسِ المجمع وقال لهُ إنَّ ابنتَكَ قد ماتَتْ فلا تُتعِبِ المعلّم* فسمعَ يسوعُ فأجابهُ قائلًا لا تَخَفْ. آمِنْ فقط فتبرأ هي* ولمَّا دخل البيتَ لم يدَعْ أحداً يدخل إلّا بطرسَ

ويعقوبَ ويوحنَّا وأبا الصبيَّةِ وأمَّها* وكان الجميعُ يَبكون ويَلطُمون عليها. فقال لهم لا تبكوا. إنَّها لم تمُتْ ولكنَّها نائمة* فضحِكوا عليهِ لِعلمهم بأنَّها قد ماتت* فأمسَكَ بيدِها ونادى قائلًا يا صَبيَّةُ قومي* فرجَعَتْ روحُها وقامَتْ في الحال فأمَرَ أن تُعطى لتأكل. فدَهِشَ أبواها فأوصاهما أن لا يقولا لأحدٍ ما جرى.

تأمل

لقد جاء الرب بالمرأة النازفة إلى الوسط وقال لها: «ثقي يا ابنةُ»، كما قال للمخلّع «ثق يا ابني»، هذا لأنها كانت مرتعدة من الخوف. من أجل ذلك قال لها: «ثقي» ودعاها «يا ابنة». لقد جعلها إيمانُها ابنةً. ويتبع المديح «إيمانكِ أبرأكِ فاذهبي بسلام». ويذكر لوقا عن المرأة شيئاً إضافياً ويقول «ولمَّا دنت منه للوقت وقف نزف دمها» (لو٨: ٤٤). لم يدعُها المسيح للحال بل سأل «مَن لَمسني». لاحظ بطرس والآخرون: «يا معلّم ان الجموع يضايقونك ويزحمونك وتقول مَن لَمسني». لم تكن الجموع تتبعه عن بعد بل كانت تحيط به من كل جانب. كان يقول انه قد لَمسني واحد لأني علمت ان قوة قد خرجت مني، كان يتكلم على مقدّراتنا البشريّة. غير أنّنا لا ندرك ذلك إلاّ عندما نتعرّض للتجارب، فيكون إيماننا على المحك. فهل نضع ثقتنا الكاملة بالله أم نتركه فنقع في اليأس وننكره؟ لذلك علينا ألّا ننتظر التجارب لنؤكّد إيماننا بالربّ. إنّه يدعونا في كلّ وقت إلى الإيمان به، والإيمان هنا ليس مجرّد ترداد دستور الإيمان، بل هو الثقة به (عب١١: ١) وتفعيل هذا الإيمان بالسلوك وفق وصاياه «مَن يحبني يحفظ وصاياي» (يو ١٤: ٣). علينا أيضًا ألاّ نقع في التمييز بين مؤمن وغير مؤمن، فإنّ الله هو لجميع الناس الذين خلقهم على صورته ومثاله.

الرحمة

تعيّد كنيستنا المقدسة في الثاني عشر من تشرين الثاني لتذكار أبينا الجليل في القديس يوحنا الرحيم بطريرك الإسكندريّة الذي نذكره في صلاة كسر الخبزات الخمس في خدمة الغروب وفي طلبة «خلّص يا رب شعبك» في صلاة السحر. نقرأ في السنكسار أنَّه عندما تمَّ انتخابه بطريركاً على الإسكندريَّة كان سكان مصر يعتقدون بطبيعة واحدة للمسيح ولم يكن حينها في الإسكندرية سوى سبع كنائس أرثوذكسيَّة. لم يميّز قديسنا بين الأرثوذكسيين حينها وأصحاب الطبيعة الواحدة، فأحصى جميع فقراء المدينة ووزَّع عليهم كل ما كان في صندوق البطريركيَّة. إهتم بإيواء الذين لا مأوى لهم لا سيما خلال فصل الشتاء، وفتح سبعة مستشفيات في أنحاء المدينة وزوَّد كلًا منها بأربعين سريراً، وعمل على توفير بعض المال والمؤن للمحتاجين، فكان يحسن إلى كل من احتاج إلى المساعدة .

تخبرنا سيرة حياته أنَّه كان المؤمنون في الإسكندريَّة يخرجون من القداس بعد قراءة الانجيل، ويجتمعون في باحة الكنيسة. وكان البطريرك يخرج إلى خارج الكنيسة بعد تلاوة الانجيل ويجلس بينهم. وكان تصرفه يثير استغراب الناس وتساؤلاتهم. كان يقول لهم: «يا أولادي، حيث تكون الرعيَّة هناك ينبغي أن يكون الراعي أيضاً . ادخلوا إلى الكنيسة فأدخل معكم وإلا فسأبقى هنا معكم، لأني أتيت إلى الكنيسة من أجلكم، وكان بإمكاني أن أبقى في دار البطريركية وأقيم الخدمة هناك لو كان الأمر يخصّني وحدي». كان هذا الموقف من قبل البطريرك يربك الشعب. ولئلا يحرجهم مرةً بعد مرة بدأوا يلتزمون البقاء في الداخل الى آخر الخدمة الإلهيَّة. رقد بالرب في قبرص عام ٦١٩م.

لقِّب قديسنا بالرحيم لكثرة ما قام به من احسانات إلى شعبه. فمن سيرته نتعلَّم كيف نعيش الرحمة في حياتنا نحن المؤمنين. أمَّا من الكتاب المقدس، فنستمد أساس الرحمة. أعلن الرب لموسى في العهد القديم أنَّه «إلهٌ رحيمٌ ورؤوفٌ بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء» (خر ٣٤: ٦)، وهذا ما أوضحه الأنبياء فيما بعد: «من هو إلهٌ مثلك غافرٌ الإثم وصافحٌ عن الذنب لبقية ميراثه، لا يحفظ إلى الأبد غضبه، فإنَّه يُسَّر بالرأفة. يعود يرحمنا يدوس آثامنا وتُطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم» (ميخا ٧: ١٨-١٩). أمَّا في العهد الجديد، فنرى كيف اتسمت تصرفات يسوع

المسيح مع الشعب بالرحمة الإلهيَّة والتي هي عنوان عمل الرب يسوع وبشارته، وهذا يتجلَّى في إنجيل لوقا الذي يعتبره الآباء القديسون إنجيل الرحمة بامتياز. لقد طلب ربنا يسوع المسيح أن نبدي الرحمة تجاه الآخر بقوله «كونوا رحماء كما أنَّ أباكم أيضاً رحيم» (لو ٦: ٣٦)، وهذا شرط أساسيٌ لدخول ملكوت السموات: «طوبى للرحماء فإنَّهم سيرحمون» (متى ٥: ٧)، وأعطانا قاعدة السلوك التي ينبغي على المؤمن أن يتخذها في حياته: «كما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا» (لو ٦: ٣١).

وعى آباء الكنيسة أهميَّة الرحمة وتأثيرها في خلاص المؤمن فشددوا في رسائلهم وتعاليمهم على أعمال الرحمة. نذكر القديس بوليكربوس أسقف أزمير (الذي نعيّد له في الثالث والعشرين من شهر شباط) الذي تكلَّم عن أعمال الرحمة في رسالته قائلًا: «متى قُدِّر لكم أن تصنعوا الإحسان لا تتأخروا، فالإحسان ينجّي من الموت. كونوا خاضعين بعضكم لبعض، واحفظوا السلوك الحسن بين الأمم والغرباء عن الإيمان، فتُمتدحون من أجل أعمالكم الصالحة، لئلا تكونوا سبباً لإهانة الرب، لأنَّه ويلٌ لمن يُشتم اسم الرب بسببهم. علّموا الجميع الوداعة التي تعيشون فيها» (١٠: ٢–٣).

كذلك لا يغيب طلب الرحمة عن صلواتنا اليوميَّة إمَّا في عبارة «يارب ارحم» التي نرددها مرة أو ثلاث أو إثني عشر أو حتَّى أربعين مرة، وإمَّا في المزامير التي نقرأها «إرحمني يا الله كعظيم رحمتك وكمثل كثرة رأفتك امحُ مآثمي» (مز٥٠: ١). وفي هذا دعوة لنا «أن نسبح في بحر رحمة الله التي لا نهاية لها» كما يقول آباؤنا القديسون.

تدعونا الكنيسة اليوم أن نتعلَّم من القديس يوحنا الرحيم كيف نعيش الرحمة التي نحن بأمس الحاجة إليها في أيَّامنا العصيبة التي نمر بها، وقد بُتنا ننسى أن نرحم أخانا. فالعنف على أشكاله أصبح أمراً سهلًا نلجأ إليه كحلٍّ لأي مشكلةٍ تواجهنا، والإدانة طبق أساسي في حياتنا اليوميَّة وعلاقاتنا مع الآخر. لقد فَقَدَ إنسان اليوم مسؤوليته التي أوكلها الله إليه تجاه أخيه الإنسان وسيطرت الأنانيَّة والحقد عليه. فالرحمة وإن كانت في عرف الكتاب المقدس صفة من صفات الله، إلاَّ أنَّ الإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله مدعوٌّ إلى الإقتداء بالله: «فإنَّه كما كنتم أنتم مرَّة لا تطيعون الله ولكن الآن رُحمتم بعصيان هؤلاء، هكذا هؤلاء أيضاً الآن لم يُطيعوا لكي يُرحموا هم أيضاً برحمتكم، لأنَّ الله أغلق على الجميع معاً في العصيان لكي يرحم الجميع» (رو١١: ٣٠–٣١).

فبشفاعات أبينا البار يوحنا الرحوم أيها الرب يسوع المسيح إلهنا ارحمنا وخلصنا آمين.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

بهذه الطريقة ويدنو من الصعيد الروحي لمستمعيه. كان يقول ذلك لكي يجعلها تعترف وحدها بما فعلت ولذلك لم يظهرها للحال، كان يريد أن يُظهر انه كان يعرف شيئاً خاصاً بوضوح، وكذلك أن يجعلها تكشف عن كل شيء بنفسها حتى لا يزرع الشك فيها لو كشف عن كل ذلك هو بذاته.

أنظروا كيف ان المرأة كانت أفضل من رئيس المجمع، لم توقفه، لم تمسكه، لقد لمسته فقط بطرف أصابعها، وبينما جاءت بعد رئيس المجمع ذهبت صحيحة قبله. لقد طلب الطبيب إلى بيته أما هي فقد اكتفت بالاقتراب منه. إن كانت مربوطة بألمها إلا انها كانت مجنّحة بإيمانها. انتبهوا كيف يعزّيها السيد: «إيمانك أبرأك». لقد قال لها هذا بعد أن جلبها إلى وسط الشعب لأهداف عديدة: لكي يعلّم رئيس المجمع أن يؤمن ولكي يجعل المرأة تخبر أمام كل الشعب، هذا بالإضافة إلى النعمة والفائدة اللتين واكبتا كلماته واللتين لا تقلّان عن الصحة الجسدية. لقد أراد أن يمجّد المرأة ويصلح الآخرين لا أن يفرض نفسه.

القديس يوحنا الذهبي الفم